دور الايرانيّين في تدوين ونشر الحديث من القرن الاول وحتّى الرابع الهجري

الدكتورة فاطمة سادات التهامي
عضو الهيئة العلميّة بجامعة طهران

هذه المقالة، احصائية قامت بها الدكتورة فاطمة السادات كجزء من رسالة الدكتوراه التي اختارتها لجنة التحكيم للجهاد العلمي باعتبارها (الرسالة المختارة) في مجال العلوم الانسانية لسنة ١٣٧٨ هـ. ش، وطبعت من قبل معهد الثقافة والفن الاسلامي في طهران عام ١٣٨٠ هـ ش. والاحصائيات المذكورة هي حصيلة جهود مضنية وطويلة حيث قامت المؤلفة باستخراجها من بطون ستين مصدراً تاريخياً ورجالياً وحديثياً مهماً، ثم قامت بتصنيفها وتنظيمها.

دارَ الحديث كثيراً حول الخدمات الجليلة الّتي قدّمها الايرانيّون الى الثقافة والحضارة الاسلاميّة في جميع المجالات العلميّة، وذُكر القرّاء والمفسّرون والفلاسفة والعلماء الايرانيّون الآخَرون الّذين كانوا يتمتعون بشهرة واسعة. ولكن لم يتمّ حتّى الآن اجراء وتقديم أيّة دراسة احصائية حول عدد الرواة والُمحدّثون الايرانيّون ومساهماتهم الثقافيّة.

وقد استخرجتُ خلال اعداد رسالتي في الدكتوراه حول علوم القرآن والحديث والتي حملت عنوان «دور الايرانيّين في كتابة ونشر الحديث في القرون الهجريّة الاربعة الاولى»، معلومات احصائيّة دقيقة من اكثر من ستين مجموعة تاريخيّة في الرجال والحديث

وقد ضُمِنّت هذه المعلومات الاسماء والأنساب والالقاب وتواريخ الولادة والوفاة، كما اشتملت على اسماء المدن والقرى الّتي نشأ فيها اولئك المحدّثون، وهذه الاحصائيّة من شأنها أن تسلّط الضّوء على جانب من تاريخ الحديث في العالم الاسلامي.

من الجدير بالذكر، أنّني رغم كوني ايرانية لم أُبدِ ايّ تعصّب قومي في استخراج هذه الاحصائيّة والبحث في

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.2.1.5]

قوميّة هؤلاء المحدّثين. وأنا نفسي أنتمي الى السلالة العلويّة. وان كان لا بدّ من أن اتعصّب فليكن تعصّبي لهذا النّسب الذي لا ينقطع حتى يوم القيامة.

مقياس الانتماء الى ايران

انّ قصدي من الانتماء الايراني في هذه الاحصائيّة. الاشخاص الّذين ينتمون الى القوميّات الايرانيّة العديدة والذين كانوا يعيشون في بلاد فارس (كما كان العرب يسمّونها في صدر الاسلام) اعتباراً من جبال هندوكش ونهر السّند في الشّرق. وحتّى سواحل دجلة في الغرب، ومن نهر جيحون وبحيرة خوارزم وبحر الخزر وجبال القوقاز في الشّمال وحتّى سواحل بحر عمان وخليج فارس في الجنوب والذين كانوا يجاورون العرب الساكنين في جزيرة العرب وسواد العراق عند الحدود الجنوبيّة والجنوبيّة الغربيّة، فهؤلاء الأقوام كانت لهم في صدر الاسلام وقبله دولة واحدة وكانوا يتحدّثون بلهجات مختلفة تمتدّ جذورها كلّها الى اللغة الفارسية القديمة.

وقد امتزج الايرانيّون مع العرب تدريجيّاً بعد دخولهم الاسلام واكتسب الايرانيّون الذين كانوا يعيشون في جوار الأغلبيّة العربيّة في البصرة والكوفة، الطابع العربي بشكل تدريجي، وفي المقابل فانّ العرب الذين كانوا يعيشون في مدن مثل بخارى ومرو ونيسابور وقم واصفهان بين الاغلبيّة الايرانيّة الساحقة. ذابوا شيئاً فشيئاً في المجتمع الايراني واكتسبوا الهويّة الايرانيّة.

وأنا اقصد من «النسبة الايرانية» في هذا الاحصاء. الاغلبيّة الساحقة من ذوي الاصول الايرانيّة أو الاقليّة ذات الاصول العربيّة التي اكتسبت الهويّة الايرانيّة بعد مرور عدة اجيال واكثر من قرن.

مسيرة الحديث في ايران

لقد كانت فتوحات العرب المسلمين في الجبهة الشرقيّة (ايران) تسير بشكل مذهل، ففي خلال فترة زمنيّة امتدت الى ما يقرب من عشرين سنة اعتباراً من معركة القادسية الكبرى سنة ١٤ هـ حتّى مقتل يزدجرد سنة ٣٢ هـ حيث سيطر العرب على جميع ارجاء الامبراطورية الساسانيّة الايرانيّة، ولكن العرب المسلمين لم يمارسوا أيّ ضغط أو اكراه على الايرانيّين لاعتناق الاسلام، وقد اكتفوا بالصلح واخذ الجزية لأنّهم اعتبروا الزرادشتيّين الذين كانوا يشكّلون غالبية المجتمع الايراني من أهل الكتاب. ولذلك فقد كان الانتشار الثقافيّ للاسلام في ايران بطيئاً واستغرق اربعة قرون، من القرن السابع وحتّى الحادي عشر الميلادي عندما اعتنق غالبيّة الايرانيّين الاسلام دون اكراه واجبار[١].

يقول مرتضى مطهّري في هذا المجال: «اعتنق غالبيّة الايرانيين الاسلام حتّى اوائل القرن الثالث الهجري. فقد بقى الكثير منهم على الديانة الزرادشتيّة والمسيحيّة والصابئيّة بل وحتّى البوذيّة، ولم يكن اهل طبرستان قد اعتنقوا الاسلام حتّى بعد ٣٠٠ سنة من الهجرة»[٢]، وحتّى انّ القاضي صامد الاندلسي المؤرّخ الذي عاش في القرن الخامس الهجري، كتب قائلاً: «انقرضت الدولة السّاسانيّة سنة ٣٢ هـ واعتنق طائفة من الايرانيّين الاسلام، وبقيت غالبيّتهم على الديانة المجوسيّة في الاهواز وفارس واصفهان وخراسان حتّى الآن»[٣]. ولذلك فانّ عدد الايرانيّين من اهل الحديث لا يتجاوز طيلة القرن الاول الهجري سوى بضع عشرات من الأشخاص، على انّهم إمّا كانوا من الايرانيّين الذين ذهبوا الى اليمن وأقاموا فيه على عهد خسرو انوشيروان لمساعدة سيف بن ذي يزن، ثمّ دخلوا الاسلام بعد ظهوره، أو الأشخاص الّذين كانوا اعتنقوا هم انفسهم أو آبائهم الاسلام خلال فتوحات العرب المسلمين، وعاد البعض منهم الى موطنهم.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.2.1.5]

ولكن عدد المحدّثين الايرانيّين ازداد مع انتشار الاسلام في ايران، والجدول التّالي يشير الى عدد المحدّثين الايرانيّين في القرون الاربعة الهجرية الأولى.

القرن	عدد المحدّثين الايرانيّين
١	١١ شخصاً
٢	٤٠٩ شخصاً
٣	٢٣٤٩ شخصاً
٤	٣٤٨١ شخصاً

مجموع المحدّثين الايرانيين في القرون الهجرية الاربعة الاولى ـ ٦٢٥٠ شخصاً.

ويبيّن الجدول التّالي توزّع المحدّثين الذين احصيناهم حسب المدن التي ولدوا أو عاشوا فيها:

اسم المدينة	عدد المحدّثين
نيسابور	٨٢٣ شخصاً
اصفهان	٧٩٢ شخصاً
مرو	٦٦٢ شخصاً
جُرجان	٤٣١ شخصاً
بخارى	٣٣٦ شخصاً
ري	٣١٣ شخصاً
قزوين	٢٨٧ شخصاً
بلخ	٢٢٢ شخصاً
قم	٢١٣ شخصاً
استراباد	٢٠٣ شخصاً
سنمرقند	١٩٦ شخصاً
هرات	١٧٩ شخصاً
همدان	١٠٣ شخصاً

احصائية تطبيقيّة

انّ الارقام الّتي مرّ ذكرها تشير الى عدد المحدّثين الايرانيّين المسلمين فقط، ومن أجل اعداد احصائيّة تطبيقيّة لعدد المحدّثين الايرانيّين المسلمين مع محدّثي البلدان الاسلاميّة الأخرى. فقد استخرجت الجدول التالي من خلال تصّفح قاموس الاعلام للزركلي واحصاء المحدّثين الذين ذكرت أسماؤهم وأنسابهم في القاموس المذكور.

عدد المحدّثين حسب البلدان الاسلاميّة

اسم البلد	عدد المحدّثين
ايران (حدود العصر الساساني)	٣٥٤
ايران (الحدود الحالية)	٢٤٩
العراق	٢٧٣
الشام (سوريه، لبنان، الاردن، فلسطين)	٢٠٠
مصر	١٠٣
اندلس	٩٨
المغرب	٧٦
نجد والحجاز	٦٥
اليمن	٣٨
الهند	٢٤

٢ ـ عدد المحدّثين حسب المدن الاسلاميّة

اسم المدينة	عدد المحدّثين
بغداد	٨٨
دمشق	٧٤
البصرة	٧٢
الكوفة	٦٩
نيسابور	٥١
اصفهان	٤٦
المدينة المنوّرة	٢٤
المكّة المكرّمة	٢٣
بخارى	١٤
بلخ	١٢

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.2.1.5]

المكانة العلميّة للمحدّثين الايرانيّين:

لا تبدو أهميّة ومكانة المحدّثين الايرانيّين من عددهم الكبير فقط، بل يوجد أيضاً بين المحدّثين الايرانيين البالغ عددهم ٦٢٥٠ والّذين كانوا يعيشون طيلة القرون الهجريّة الاربعة الاولى، علماء حديث من الطراز الأول.

وقد ولد جميع أصحاب الصحاح الستّة لأهل السنة في مدن ايران: بخارى، نيسابور، قزوين، نَسا، سجستان وترمذ حيث ظهر من ايران طيلة هذه القرون الاربعة ٣١٧ محدّثاً مصنّفاً ألّفوا ٥٦٩ كتاباً ومجموعة في الحديث، وهذا العدد لا يتضمّن سوى الكتب الحديثيّة التي ذكرت في كتب الرجال والسير بأسمائها ومواصفاتها، وامّا عدد المؤلّفات الّتي بقيت مجهولة ولم يذكر سوى عددها في الكتب المختلفة أكثر من ذلك بكثير، حتّى ذكر لثمانية من هؤلاء المحدّثين ١٨٧٧ كتاباً وهم:

١ ـ محمّد بن بحر الرهني السجستاني، ٥٠٠ كتاب.

٢ ـ عمر بن احمد المروزي، ٣٠٠ كتاب.

٣ ـ محمّد بن احمد بن ايوب بن زاذان، ٣٠٠ كتاب.

٤ ـ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، ٢٠٠ كتاب.

٥ـ فضل بن شاذان النيسابوري، ١٨٠ كتاب.

٦ ـ داوود بن علي بن خلف الأصبهاني، ١٥٧ كتاب.

٧ ـ محمّد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري، ١٤٠ كتاب.

٨ ـ أحمد بن محمّد بن الحسن القمّي، ١٠٠ كتاب.

مكانة المحدّثين الايرانيين في مجال الحفظ

تصادفنا في المصادر الرجالية والحديثية المختلفة والعديدة نماذج وامثلة على مقدرة المحدّثين في مجال الحفظ، ومنهم المحدّثون الايرانيّون، وهي تبدو احياناً عجيبة ومبالغاً فيها وتشير الاحصائيّة التالية الى قوّة ذاكرة بعض من هؤلاء المحدّثين الذين ذكرهم المؤرّخون وعلماء الرجال:

فقد كان ابو زُرعة عبيد الله بن عبد الكريم... بن فرّوخ الرّازي يحفظ ٧٠٠ الف حديث[٤]، وكان محمّد بن اسماعيل... بن بزدويه البخاري يحفظ ٣٠٠ الف حديث[٥]. فيما كان ابو عبد الله محمّد بن عُميرة الجرجاني يختزن في ذاكرته ١٠٠ الف حديث[٦] وابو عبد الله عبد الرحمان بن احمد الختّلي ٥٠ الف حديث.

الرّحالة الايرانيّون

لقد كان تفرّق الرواة والمحدّثين المسلمين في أرجاء العالم الاسلامي الواسع يقتضى أن يجوب طلاب الحديث شرق وغرب العالم الاسلامي من أقصى خراسان وحتّى المغرب الأقصى من أجل الحصول عليه وتعدّ رحلة جابر بن عبد الله الأنصاري من المدينة الى الشام من أجل الاستماع الى حديث من عبد الله بن أُنيس الأنصاري اول رحلة لطلب الحديث تأتي بعدها رحلة ابي ايّوب الأنصاري من المدينة الى مصر لسماع حديث من عقبة بن عامر.

ويحتلّ المحدّثون الايرانيّون مكانة رفيعة بين هؤلاء الرحّالة، ذلك لأنّهم كانوا يعيشون غالباً في المناطق الشرقيّة من ايران وقد كانت المسافة بينهم وبين مواطن أصحاب الحديث في الحجاز ومصر واليمن والمغرب بعيدة للغاية.

ونذكر فيما يلي مشاهير المحدّثين الايرانيّين الرحّالة طيلة القرون الهجرية الاربعة الأولى:

ـ محمّد بن ابراهيم بن زاذان الأصفهاني المعروف بابن المقرئ الّذي جال شرق وغرب العالم الاسلامي اربع مرّات في طلب الحديث واجتاز سبعين مرحلة في رحلته للحصول على نسخة احاديث المفضّل بن فضالة. ولو أنّه، على حدّ قوله، عرض هذا الحديث على

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.2.1.5]

خبّاز لما اشتراه برغيف.

ـ محمّد بن اسحاق بن منده، الملقّب بختام الرحّالين، وقد كان يتنقل من مدينة لأخرى مدّة ٤٥ سنة طلباً للحديث وتلقّن الحديث من ١٧٠٠ شيخ.

ـ يعقوب بن يوسف بن جوان الفارسي. أمضى ثلاثين سنة متنقّلا في طلب العلم وأخذ الحديث من ١٠٠٠ شيخ من أرجاء العالم الاسلامي.

المحدّثون الايرانيّون المستوطنون في البلاد الاسلامية الأخرى

لم يكن المحدّثون الايرانيّون يسافرون الى أرجاء العالم الاسلامي طلباً للحديث فقط، بل انّ عدداً كبيراً منهم سكنوا واستوطنوا في مدن ومناطق بعيدة للغاية عن أوطانهم. وعدد هؤلاء المحدّثين في مراكز العراق العلميّة وكذلك في جوار بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف يربو على الحصر، ونحن نكتفي هنا بذكر اسماء أولئك الذين كانوا يعيشون في البلدان النائيّة، في مصر واليمن:

١ ـ في مصر:

ـ ابو عبد الله نافع الديلمي (ت ١١٧ هـ) الذي بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز الى مصر لتعليم القرآن والفقه وأقام فيها.

ـ ابو حارث ليث بن سعد الّذي كان أصله من أصفهان وهاجر والده الى مصر وولد هو في قلقشنده، واصبح مفتي وشيخ الدّيار المصريّة.

ـ ابو علي حسين بن محمّد ماسَرجِسي النيسابوري. صاحب المسند الكبير اقام سنوات عديدة في مصر.

٢ ـ في اليمن:

ـ ابو عبد الله حسين بن عبد الله الجُرجاني (ت ٣٩٠ هجري).

ـ ابو زرعة الاسترآبادي اليمني.

المرأة الايرانيّة ودورها في نشر الحديث

على الرغم انّ النساء في جميع المجتمعات البشريّة، وفي المجتمع الاسلامي بنسبة أقلّ، تخلّفن عن اللحاق بمسيرة العلم والمعرفة في القرون الهجرية الأربعة الأولى، ولم تكن الأرضيّة ممهّدة لهنّ لدخول مجالات العلم المختلفة، إلّا أنّ هناك في هذه الفترة تسع نساء ايرانيّات ذُكرن في عداد المحدّثين وكلّهنّ من أسر العلم والحديث.

١ ـ امّ عبد الرّحمن الجرجاني (القرن الثالث) روت عن موسى بن السّندي.

٢ ـ فاطمة سعدوية النيسابوريّة، بنت عبد الله (القرن الثاني)، روت عن ابيها.

٣ ـ هبة العزيز أمّ الفضل الجرجاني (عاشت في ٣١٧ هجري) ابنة أحمد بن عبد الرّحمن من محدّثي جُرجان، سمعت الحديث وروت عن علي بن محمّد بن حاتم.

٤ ـ جمعة بنت احمد بن محمّد بن عبيد الله، امّ الحسين النيسابوريّة، (عاشت في ٣٦٧ هـ)، سافرت الى بغداد ونقلت الحديث فيها عن بكر بن محمّد بن ياسين والحافظ أبي احمد وأبي بكر الطرازي وروى عنها ابو محمّد الخلال وعبد العزيز بن أزجي.

٥ ـ سعيدة بنت احمد بن محمّد بن شعيب بكر آباذي الجرجاني (القرن الرابع) روت عن أبي نعيم عبد الملك بن محمّد بن عدي.

٦ ـ فاطمة بنت ابي بكر عبد الله بن ابي داوود، امّ سلمة السّجستانيّة (القرن الرابع) وهي حفيدة أبي داوود السجستاني، صاحب السنن وروت عن ابيها.

٧ ـ فاطمة بنت علي بن النّعمان الكبوذنجكثيّة (كانت حيّة ٣٨٠ هـ) كانت تروي عن أبيها وعن نضر بن رسول اليزداني، سمع وكتب الحديث عنها أبو سعيد الادريسي في كَبوذ نجكث.

٨ ـ فاطمة بنت احمد بن محمّد بن عبد الكريم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.2.1.5]

الجرجانيّة (القرن الرابع) روت عن أبيها.

٩ ـ ليلى بنت احمد بن مسلم بن شعيب، أمّ البهاء المدينيّة الاصفهانيّة (القرن الرابع) روت عن ابيها وكذلك عن الطبراني.

اتّخاذ الاسماء العربيّة الاسلاميّة

تشير الاحصائيّات المستخرجة على انّ هناك سبعة اشخاص فقط احتفظوا باسمائهم الايرانيّة من بين ٦٢٥٠ محدّثاً ايرانيّاً طيلة القرون الهجريّة الاربعة الاولى، وامّا الآخرون فقد تسمّوا جميعهم بعد اعتناقهم (أو احد اجدادهم) الاسلام باسماء عربيّة، باسم النبيّ ﷺ وأسماء أهل بيته والشخصيّات الدينيّة الأخرى في الغالب، وطبقاً للاحصائية الّتي اعددتها بشكل دقيق فقد اتّخذ ١٦١١ من المحدثين الايرانيّين اسم «مُحمّد» و٩٠٧ شخصاً اسم «أحمد» و٣٥٤ شخصاً اسم «علي» و٢٠٨ شخصاً اسم «حَسَن» و١٣٨ شخصاً اسم «حسين» و٥٠ شخصاً اسم «عُمَر» و٢٧ شخصاً اسم «عُثمان».

وتشير دراسة اخرى أجريتها على انّ ٩٣ بالمائة من المحدّثين الايرانيين من القرن الاوّل وحتّى الرابع الهجري كانوا يتّبعون أحد المذاهب السنيّة الأربعة. فيما كان ٧ بالمائة على المذهب الشيعي.

الهوامش

١ـ اشپولر، تاريخ ايران در قرون نخستين اسلامى، ترجمه فلاطورى، ج ١، ص ٢٣.

٢ـ مطهرى مرتضى، خدمات متقابل ايران وإسلام، ج ١، ص ١٠٥.

٣ـ القاضي صاعد الاندلسي، التعريف بطبقات الامم، تحقيق دكتر غلامرضا جمشيد نژاد، ص ١٦٢، تهران، ١٣٧٦.

٤ـ طبقات الحفّاظ ٢٥٣، التدوين في اخبار قزوين ٣ / ٢٨٤.

٥ـ سير اعلام النبلاء ١٢ / ١٩١، طبقات الحفّاظ ٢٥٢.

٦ـ تاريخ جرجان ٤٠٩، طبقات الحفّاظ ٢٤٥.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.2.1.5]